خطبة صلاة الجمعة 18/ 12/ 2020 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(هدي رسول الله ﷺ – الخاتمة)

الحمد لله، الحمد لله ثمَّ الحمد لله، الحمد لله نحمده ونستعين به ونستهديه ونسترشده، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيِّئات أعمالنا، من يهدِهِ الله فهو المهتَدِ، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مُرْشِداً، وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيِّدنا محمَّداً عبده ورسوله، وصفيُّه وخليله، خيرُ نبيٍّ اجتباه، وهدىً ورحمةً للعالمين أرسله، أرسله بالهدى ودين الحق ليُظهره على الدِّين كلِّه ولو كَرِه الكافرون، ولو كَرِهَ المشركون، ولو كَرِهَ مَن كَرِه، اللَّهم صلِّ على سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلِّم.

أمَّا بعد: فيا عباد الله، أوصيكم ونفسيَ بتقوى الله تعالى، وأحثُّكم وإيَّاي على طاعته، وأستفتح بالذي هو خير.

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

وَقالَ تعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:52].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقول: **«أما بعدُ، فإن خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرُ الهدْي هدْيُ محمد، وشرُّ الأمورِ مُحْدَثاتُها، وكلُّ بدْعةٍ ضلالة»**.

قال النووي في شرح مسلم: (قوله "خير الهدي هدي محمد" جاءت الرواية بوجهين؛ الأول: بفتح الهاء وإسكان الدال، ومعناه الطريقة، أي أحسن الطرق طريق محمد، يقال فلان حسن الهدي أي الطريقة والمذهب، والثاني: بضم الهاء وفتح الدال فيهما، ومعناه الدلالة والإرشاد).

وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إنَّ أحسنَ الحديثِ كِتَابُ اللهِ، وأحسنُ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ ﷺ، وشَرُّ الأمُورِ مُحْدَثاتُها، وإنَّ ما تُوعدونَ لآتٍ، وما أنتُم بمعجزين».

قال ابن منظور: فُلَانٌ حَسَنُ الهَدْيِ هُوَ حُسْنُ الْمَذْهَبِ فِي أُموره كُلِّهَا، وأحسن الهدي هدي محمد أَي أَحسَنُ الطريقِ والهِداية وَالطَّرِيقَةِ وَالنَّحْوِ وَالْهَيْئَةِ، هدي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة الخاتمة في سلسلةِ خطب عنوانُها: **(هَدْيُ رسول الله صلى الله عليه وسلم)**.

جاءت السلسلة في شهر ربيع لنكثر من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنهتدي بهديه ونتأسى بسنته فننالَ الحظوة بشفاعته صلوات ربي وسلامه عليه.

واعلموا أن الكمال البشري معقود في رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اهتدى بهديه واستن بسنته وحذى حذوه صلى الله عليه وسلم سار في درب الكمال، وعكسه بعكسه.

تحدثت الخطبة الأولى عن هديه صلى الله عليه وسلم في العبادات الشعائرية، والثانية عن هديه صلى الله عليه وسلم في المعاملات المالية، والثالثة عن هديه صلى الله عليه وسلم في العلاقات الأسرية، والرابعة عن هديه صلى الله عليه وسلم في الشدائد والمحن، والخامسة عن هديه صلى الله عليه وسلم في مخالطة الناس، والسادسة عن هديه صلى الله عليه وسلم في التعليم، والسابعة عن هديه صلى الله عليه وسلم في القضاء بين الناس، والثامنة عن هديه صلى الله عليه وسلم في الدعوة إلى الله.

وهنا انتهت الخطب؛ لكن التأسي بالنبي صلى الله عليه وسلم لا ينتهي، ولو جعل أحدنا عمره مصروفاً لتعلم هدي النبي صلى الله عليه وسلم وسيرِه وسيرتِه والعملِ بهذا الهدي لكان على خير كبير.

ما هدي النبي صلى الله عليه وسلم في سفره؟، وماهديه في غضبه؟، وماهديه في مرضه؟، وماهديه مع جيرانه؟، وماهديه مع أعدائه؟، وماهديه في معاركه؟، وماهديه مع القرآن؟، وماهديه في صومه؟، وماهديه في غناه؟، ... كلها عناوين تحتاج منكم البحثَ عنها وجمعَ مادتها والعملَ بما فيها.

لأن كل آية نقرؤها في القرآن الكريم فتطبيقها العملي في سنة النبي صلى الله عليه وسلم وحياته.

قال ابن عطاء الله السكندري في تاج العروس: (واعلم أنه ... لا تحصل لك الرفعة عند الله تعالى إلا بمتابعة النبي المكرم والرسول المعظم صلى الله عليه وسلم).

وَقَالَ أَبُو الْعَبَّاس أَحْمد بن سهل: "من ألزم نَفسه آدَاب السّنة نوَّر الله قلبه بِنور الْمعرفَة، وَلَا مقَام أشرف من مُتَابعَة الحبيب فِي أوامره وأفعاله وأخلاقه".

وهاكم ثلاثةَ أمور تعينكم على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم والاهتداء بهديه: العلم والصحبة والحب.

– **أما العلم**: فالمراد به أن تحضر مجالس حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرتِه وشمائِلِه، وأن تقرأ في كتب حديثه وسيرته وشمائله، وأن تتدارس مع أهلك وأصحابك في حديثه وسيرته وشمائله، ولعلك يوماً بعد أن تتأهل لذلك تؤلف كتاباً أو أكثر في حديثه وسيرته وشمائله صلى الله عليه وسلم.

فمن أراد التأسي والاتباع فعليه أولاً أن يعلم، إذ كيف تتأسى وأنت لا تعلم بماذا تتأسى.

في دورة (فاتبعوني) المقامة في مسجدكم لتعلُّم حديثِ رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته، قال لي أحد الإخوة: بينما كنا نقرأ مع أستاذنا في الأحاديث المختارة من صحيح البخاري مر بنا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ارجعوا إلى أهليكم فعلموهم**» فشعرت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يخاطبنا بالأمر، فرجعتُ إلى أهلي وصرت أعلمهم ما أتعلم وأقرأ عليهم ما يُقرأ علي وأدعوهم إلى ما دُعيت له.

إن قراءة حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته وشمائله هو الخطوة الأولى لتتأسى به صلى الله عليه وسلم وتتبعه فتكون معه في الآخرة إن كنت معه في الدنيا.

وأما الصحبة: فالمراد بها أن تصاحب من يتأسى بالنبي صلى الله عليه وسلم ويسير بسيره ويحذو حذوه ليعينك على متابعته صلى الله عليه وسلم.

نقل الإمام الذهبي: أن أبا داود صاحب السنن، كان يُشَبَّه بأحمد بن حنبل في هديه ودله وسمته، – الهدي حسن السيرة والدل حسن الهيئة والسمت حسن المذهب في أمر الدنيا والدين– ، وكان أحمد يشبه في ذلك بوكيع وكان وكيع يشبه في ذلك بسفيان وسفيان بمنصور ومنصور بإبراهيم وإبراهيم بعلقمة وعلقمة بعبد الله بن مسعود، وقال علقمة: كان ابن مسعود يشبه بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم: في هديه ودله وسمته.

فصحبتك للموصول تجعلك موصولاً، وصحبتك لمتبع السنة تجعلك متبعا للسنة.

أخرج الخطيب البغدادي في تاريخه، سأل جعفر بن نصير بكرانَ الدينوري – وكان يخدم الشبلي –: ما الذي رأيت منه عند وفاته؟ فقال: قال لي: علي درهم مَظلمة، وتصدقت عن صاحبه بألوف فما على قلبي شغل أعظم منه، ثم قال: وضيني للصلاة، ففعلت فنسيت تخليل لحيته وقد أُمسِك على لسانه،

فقبض على يدي وأدخلها في لحيته ثم مات، فبكى جعفر وقال: ما تقولون: في رجل لم يفته في آخر عمره أدب من آداب السنة؟!.

إن صحبة متبعي السنة والمهتدين بهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الخطوة الثانية لتتأسى به صلى الله عليه وسلم وتتبعه فتكون معه في الآخرة إن كنت معه في الدنيا.

وأما الحب: فالمراد أن المحب حريص على التشبه بمحبوبه، فمن أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب التشبه به وهوي متابعته وسهل عليه الاقتداء، قَالَ ذُو النُّون الْمصْرِيّ: "من عَلامَة الْمُحب مُتَابعَة حبيب الله صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِي أخلاقه وأفعاله، وأوامره وسننه".

فالحاصل أن العلم والصحبة والحب ثلاثة أمور تعين على متابعة النبي صلى الله عليه وسلم والاهتداء بهديه: لنكون وراءه في الدنيا فنكونَ معه في الآخرة بإذن الله.

وبعد أيها الإخوة:

هذا شيء من الحديث عن هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم والمأمول منكم متابعةُ البحث عن هديه صلوات ربي وسلامه عليه حتى تقتدوا به وتعلِّموا سنته لتكونوا معه في الدنيا والآخرة بإذن الله.

قال تعالى حكاية عن سيدنا إبراهيم عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام: ﴿فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي﴾ [إبراهيم: 36].

فالمتابعة تجعل التابع كأنه جزء من المتبوع وإن كان أجنبياً قال صلى الله عليه وسلم «سلمان منا أهل البيت» ومعلوم أن سلمان من فارس ولكن بالمتابعة أثبت له صلى الله عليه وآله وسلم الصلة، وكما أن المتابعة تثبت الاتصال فعدمها يثبت الانفصال، وقد جمع الله الخير كله في بيت وجعل مفتاحه متابعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فإذا طلبت الخير كله فقل: اللهم إني أسألك المتابعة لنبيك وحبيبك ورسولك وصفيك ونجيك محمد صلى الله عليه وسلم.

ومن فتح له باب المتابعة فذلك دليل على محبة الله سبحانه وتعالى له ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: 56]

الحمد لله رب العالمين.